مصطفى محمود

ســـيرته واقــوال المعاصرين فــيه

قصي خضير عبود

المقدمة

ان من حكمة الله سبحانه وتعالى وعدله مع عباده لما خلقهم ما تركهم هملا كي يضلوا ويتيهوا في افكارهم بل ارسل الرسل والانبياء لكي يبلغوا رسالته وتكون له الحجة على عباده، فلما ختمت النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حمل من بعده لواء الدين صحابته رضوان الله عليهم اجمعين، ومن بعدهم التابعين ومن تبعهم الى يومنا الى يوم الدين فكانت رسالة الرسل هي بمثابة مصباح هدى تهتدي به الامم الى طريق مستقيم، ونجاة لهم من المهالك والضلال، وبعد ان انقضى عهد النبوة، جاء من بعدهم حملة هذا الهدي الالهي من العلماء والمفكرين الذين قاموا بواجب الدعوة الاسلامية واعطوها حقها بأمانة.ولقد كان هؤلاء العلماء الذين استمروا بواجب الدعوة، والرشاد، وبيان الحق والباطل، والدفاع عن هذا الدين من كيد الكائدين، فكان اهم هؤلاء العلماء الدكتور مصطفى محمود، هذا الطبيب والفيلسوف، والمفكر الفذ الذي بدأ مشواره منذ نعومة اضافره، بالكتابة وحتى اصبح داعية ومفكرا واعلاميا بزغ في زمانه كبزوغ الشمس في وضح النهار، فهو مفكر اسلامي فتح الله عليه بما لم ينعم على كثيرغيره، فقد انتقاه الله من اهل زمانه ليستخدمه لخدمة دينه، وكان منحدر من عائلة صالحة بان تخرج هكذا شخصية رائعة.هذا الرجل لم اجد له نظير في كيفية مناقشته الافكار وكيفية فلسفتها وربطها مع بعضها، والخروج بنتيجة ايجابية صالحة وتتساير مع اصول الدين ومقاصد الشريعة والعقلية المسلمة، ولهذا اخترته.

منهجية البحث:

كان منهجي في البحث يعتمد على المنهج الاستقرائي:

شرعت في تقسيم بحثي على ثلاث مباحث:

المبحث الاول: فيه مطلبين: المطلب الاول، فيه ثلاث تفرعات: اسمه، وولادته، ونشأته، ووفاته.واما المطلب الثاني: فيه ثلاث فروع ايضا: حياته العلمية، واعماله، ومؤلفاته، نشاطه الدعوي اما المبحث الثاني: وفيه مطلبين: المطلب الاول: وفيه فرعين: صفاته واخلاقه، الزهد والتصوف، وعزلته عن الناس.واما المطلب الثاني: عقيدته وسلوكه.واما المبحث الثالث: وفيه مطلبين، فاما المطلب الاول: فذكرت فيه منهجيته في الكتابة والتاليف، ومؤلفاته.واما المطلب الثاني: فكرت فيه: اقوال المعاصرين فيه، واقوال من مدحه، واقوال من انتقده.

المبحث الأول:

المطلب الأول:

اولا: اسمه وولادته: كثيرا ما يكون الاسم الذي يشتهر به شخص ما ليس هو اسمه الحقيقي، او مختصرا من الاسم الكامل وهذغا امر استاذنا الدكتور مصطفى محمود، والذي اشتهر بهذا الاسم، مع ان اسمه الحقيقيي: مصطفى كمال محمود حسين آل محفوض، ويرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب، عن طريق الامام علي السجاد زين العابدين، رضي الله عنهما.[1]وكان يطلق على عائلته لقب الأشراف، وذلك لانتسابهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.ومصطفى محمود هو الاسم الذي عرف الذى عرف بع وطبع على جميع اعماله الادبية والفكرية، فهذا الأسم هو اسم الشهرة الذي اشتهر به.[2]

ثانيا: ولاته: ولد الدكتور مصطفى محمود (ميت خاقام القديمة)، وهي تتبع مدينة شبين الكوم [3]، بمحافظة المنوفية، وهي من محافظات وسط مصر، وكان ولادته في العشرين من ديسمبر سنة احدى وعشرين وتسع مئة والف ميلادية (١٩٢١/١٢/٢٠م). وترتيبه بين اخوته هو الثامن، وامه هي ثالث زوجة لأبيه، ووالده هو الزوج الثالث لمه.[4]

ثالثا: نشأته: نشأ مصطفى محمود في أسرة طيبة، وكريمة وما اسرع ان انتقلت الأسرة من محافظة المنوفية [5] الى الغربية، وعلى الخصوص الى مدينة طنطا [6]، ويتذكر الرجل ايامه وحياته الاولى قائلا: وحين اتذكر تلك الرحمة المبكرة تأتيني وعلى الفور من الذاكرة صورة والدي ذلك الحنون الذي ينتمي في خاطري الى تكوين الملائكة، كان يحتضنني ويحملني على كتفه، كنت مدللا بمعنى الكلمة رغم حال الأسرة هو اقل من المتوسط [7].قد شدني كلام الدكتور مصطفى محمود من خلال وصفه لوالده وان دل على شيء فانما يدل على بره واكرامه لوادیه واعترافا منه بجميل فضله لانه احسن تربيته واكرمه حيث كان له اسوة حسة ومثال في التكوين الشخصى على الصعيد التربوي والديني والاجتماعي.

رابعاً: وفاته:أصيب المفكر الأسلامي مصطفى محمود في أخر حياته بالجلطة وأستمرت رحلة علاجه عدة اشهر حتى جاءته المنية في صباح يوم السبت ٢٠٠٩/١٠/٣١م، الموافق ٢١ذي القعدة ١٤٣٠هـ، عن عمر ناهز (ثمانية وثمانون) عاما، وشيع جسده الطاهر من مسجده (مسجد محمود) في القاهرة، [8] في جنازة مهيبة، غلب عليها البساطة من الناس وخصوصا الفئات التي كان يقدم لهم الخدمات الطبية

والأنسانية [٩] وكما تذكرابنته خلت جنازة والدي من تواجد اي رجل من رجالات الدولة، حتى على مستوى مسؤلي محافظة القاهرة، وكأن هناك امرا بتجاهل هذا الرجل حتى في لحضة موته[١٠].

المطلب الثاني:

اولا: حياته العلمية: بدات حياة الدكتور مصطفى محمود الدراسية من كتاب مدرسة (الشوكي) نسبة لصاحبها الشيخ محمد الشوكي، في هذه المدرسة تلقى علوم العربية والحساب وحفظ الكثير من القران. وعن هذه الفترة الزمنية يقول مفكرنا "كنت احب وأعشق المدرسة المدرسة، ويوم الجمعة، وكان يوم الجازة الأسبوعي من المدرسة او كما كنا نسميه يوم المسامحة، وكنت اتمرد على هذه التعليمات وأذهب في الصباح واقفز من فوق السور الى داخل المدرسة حتى لايراني الغفير، واتجول في الفصول حتى يحين موعد آذان العصر ثم امضي الى اصدقائي واقص عليهم وانني كنت في المدرسة اليوم، فيقولون غير مصدقين اليوم هو المسامحة فاقول: انا معنديش مسامحة ابدا.[١١]ثم يواصل الحديث ومنذ صغره بدأت ارهاصات مواهب مصطفى محمود الأدبية والفكرية، حيث انشأ في في منزله معملا صغيرا لصناعة الصابون والمبيدات الحشرية ليقتل بها الحشرات ثم يقوم بتشريحها للتعرف الى اسرارمكوناتها، وكانت هذه فترة احلامه حيث كان يتمنى ان يصبح عالما ومخترعا كبيرا.[١٢]

بداياته الادبية: واثناء دراسته الثانوية نشر بعض قصائده وقصصه القصيرة من خلال المجلات المدرسية، والاذاعة المدرسية، وكان يلقى ثناء من حسنا من معلميه ومدرسيه في المدرسة.الدراسة الثانوية كانت في مرسة طنطا الثانوية الحكومية، وفيها طهرت مواهبه الشعرية والأدبية، وكتب فيها بعض القصص القصيرة الا ان اكثر اهتمامه كان في العلوم والتجارب العلمية، "واغرقت ليل ونهار في التجارب العلمية والتي كانت ستؤدي بحياتي اكثر من مرة بسبب حدوث بعض الحرائق انفارات صغيرة كل فترة، واغرقت نفسي بالعلوم التي كنت شغوفا بها مثل الكهرباء والبطاريات وجهاز والتقطير والميكروفون والرسم على الورق وتنفيذ اختراعات الاجهزة [١٣].

دراسته في الطب:كان هدفه ان يبتحق بكلية الطب ليتوسع في هذا المجال الذي سيطر على اهتمامه وتفكيره، وبالفعل بعد حصوله على شهادة الثانوية بتفوق، التحق بكلية الطب، (القصر العيني)، وبدا يمارس هوايته وبحثه الدائب عن اسرار مخلوقات الله، فكان يفحص اجساد الموتى طارحا تساؤلاته حول سر الحياة والموت والوجود والعدم والخلق.[١٤] وقد اشتهر بين زملائه بحبه للدراسة والتشريح حتى اطلقوا عليه لقب (المشرحجي)، وقد كان من ضمن اهدافه لدراسة الطب، الوقوف على ادلة مادية يحصن بها ايمانه وعقيدته، يقول في موضع آخر "ولكن من أجل ان اصل الى يقين يزيد من ايماني وكانت افكاري او اسلوب تفكيري احد اسباب اختياري لهذه الكلية وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد، فبعد ان تعرفت على البكتريا التي تسبب بالامراض، وكيفية علاجها، وبعد وقوفي امام الجثث الموجودة داخل المشرحة بالساعات، وجدت نقطة البداية للاجابة على كل مايدور في فلك الحياة وكل ما يدور حولي، وعرفت جيدا من اين جئنا والى اين سنذهب، وكان الوقوف امام الجثث بالمشرحة البداية الحقيقية للايمان.[١٥]

ثانيا: اعماله:

وفي عام ١٩٥٣م تخرج من كلية الطب وتخصص في الأمراض الصدرية وعمل طبيا حتى ١٩٦٠م، مارس عمله طبيبا في مستوصف (ام المصرين) للامراض الصدرية بمصر القديمة في مدينة القاهرة، ثم استقال من عمله.[١٦]استمر عمل الدكتور مصطفى محمود في مستوصف ام المصرين لمدة عامين، انتقل بعدها في مصحة (ألماظه) للحميات، "التي هيأ لي العمل بها الى العزلة لموقعها الجغرافي آنذاك، كان في الصحراء التي تتسم بالهدوء والتأمل، وكانت هذه الظروف داعية لأن يولد لأديب والفيلسوف الكامن بداخلي".[١٧] من هنا بدأ مصطفى محمود مقالاته معارضا السلطة الجديدة من خلال مجلة "روز اليوسف"مما ادى الى استدعاء رئيس تحرير المجلة الأستاذ "احسان عبد القدوس" من قبل اجهزة الأمن ومناقشة فيما فيما يكتب الصحفيون في مجلته ومن ضمنهم مصطفى محمود.[١٨]واستمر الحال على ذلك حتى اصدر كاتبنا كتابه "الله والأنسان"عام ١٩٥٧م، الذي طرح فيه فيه قضايا لم يتعود القاريء على مثلها، مثل "مسالة القضاء والقدر، والجنة والنار، والصواب والخطأ، وقضايا الجبر والأختيار، والبعث والخلود"، وكان طرح مصطفى محمود لهذاالقضايا طرحا عقلانيا، وهذا لم يرق لبعض علماء الازهر، حينها عارضوه بمقالاتهم، التي تنوعت ما بين متهم له بالكفر الى التفسيق الى اعتباره ميلادا لمفكر عبقري [١٩].وكذلك انشأ مؤسسة محمود الخيرية التي تتكون من مجموعة من اكبر المستشفيات والعيادات التخصصية في مصر، والتي تستقبل يوميا (٤٥٠٠)مريضا في شتى التخصصات واجراء (٦٠)عملية جراحية يوميا، وكل ذلك مجانا، وقد بلغ عدد هذه المراكز المتخصصة ستة مراكز [٢٠].

ثالثا: نشاطه الدعوي

وفي مجال الدعوة حدث ولا حرج " فهو ثاني اثنين اولهما الشيخ الشعراوي "، ـ رحمه الله ـ استطاعا النفاذ الى كل عقل وقلب في هذا العصر، فمؤلفاته من اكثر هذه الكتب توزيعا، واحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير، والمتعلم والغير متعلم، والمسلم وغير المسلم [٢١].لهذا نجد الرجل يكثر من الكتابة والتأليف في الموضاعات الأيمانية والروحانية، فكانت اول كتاباته في المرحلة الثانية من مشوار عمره كتاب: رحلتي من الشك الى الأيمان، وتلاه كتاب الطريق الى الكعبة، وهكذا توالت كتاباته الرائعة والتي كان لها تاثير كبير على حركة المد الاسلامي في الثلث الاخير من القرن العشرين وما تلاه، لقد "كرس الدكتور مصطفى محمود قلمه للدفاع عن الاسلام على المستوى الفكري والسياسي.على المستوى المستوى الفكري بتوضيح صحيح الاسلام والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى المستوى السياسي يكشف محاولة الغرب في تشويه صورة الأسلام، وأنه العدو الجديد بعد سقوط الأتحاد السوفيتي، كما انه يتصدى لمؤامرة الصهيونية وازاحة النقاب عن وجهها الحقيقي، كما يبرز دائما اوضاع العالم العربي، وما فيه من انقسامات لا يستفيد منها الا الاعداء الذين يمتصون دماء العالم الهربي، وياكلون ثرواته باختلاق المشاحنات والخلافات بين ابناء الهقيدة الواحدة [٢٢] .وهكذا نجد ان مصطفى محمود كان شخصية مؤثرة داخليا وخارجيا، وعلى اكثر من اتجاه.

المبحث الثاني

المطلب الأول:

اولا: صفاته واخلاقه:

اتسم الدكتور مصطفى محمود بجملة من الصفات والأخلاق، قلما نجدها في زمانا في كثير ممن يتصدون في ابلعمل الدعوي، وقد كان للبيت الذي ولد ونشأ فيه، وتربية الوالدين له لأخوانه واضح اثر الحسن في اخلاقهم.وهو يحفظ لوالده في عقله ونفسه ذكريات طيبة كثيرة، كانت له فيما بعد نبرس احياة، لهذا نجده فيما بعد بعد يسمي كل المؤسسات الخيرية التي قام بأنشائها باسم والده، فهو يقول عن والده: "لم يكن مثقفا ولا مطلعا على النظريات الحديثة في علم النفس والتربية، ولكنه كان يجيد اللغة الفرنسية بطلاقة، وكان رجلا بسيطا باطنه عامرا بالأيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، والذي كان يتخلق بخلق الاولياء".[٢٣] وكان كاتبنا يتصف بجملة من الصفات والأخلاق، من ابرزها الزهد والعزلة والتواضع والكرم، وهو ما سنبينه فيما يلي:

ثانيا: الزهد والبعد عن الترف:

من ابرز ما يلاحظه اي شخص يتعامل مع الدكتور مصطفى محمود زهده في متاع الدنيا وشهواتها، ان كان ذلك مالا او منصبا سياسيا او طعاما او ملبسا او بيتا فاخرا، وكان رحمه الله لا يغريه ما يجد بين ايادي الناس.لا ينكر انه عاش حياة متواضة في منزله، لانه شملته الراحة والسكينة والطمأنينة والبركة في المعيشة والمأكل والمشرب والملبس، حقيقة لم يكن يعرف السيارة او التاكسي، ولكن الحمار في احسن الأحوال كان وسيلة جميلة كان يستخدمها حينما كان يذهب الى القرى المجاورة او ذهابه الى المدرسة اة اعماله الخاصة، فقد كان يعيش بكل كيانه في عالمه الخاص، ولقد كان عالما مليئا بالقيم والمثل العليا ومليئا بالبطولات والانتصارات، وقد كان بداخله دائما الانتصار الخير على الشر في هذه الحياة.[٢٤]

ثالثا: عزلته عن الناس:

ظهرت بوادر حب مصطفى محمود للعزلة منذ طفولته، وهذه العزلة لم تكن ضعفاً في التركيبة النفسية، أو لعيبَ خلقي في جسمه، بل هي رغبة في التفرد بالنفس، والخلوة بالذات، فهو " يحن دائماً إلى العزلة والخلوة مع نفسه، والتأمل ومحاسبة نفسه من وقت لآخر، حين ناقشته (الضمير يعود على المؤلف) في مسرحية المسيح الدجال، قال: كتبتها في ألمانيا في جبل فوق مكان يسمى الغابة السوداء، صمت رهيب وعزلة جميلة ووحدة مطلقة، لا تسمع ولا ترى أحداً، وهو جو محبب لنفسي جداً " [٢٥]وقد لازمه ميله للعزلة منذ طفولته، فهو يقول: لهذا لم يكن غريباً أن يكون لي عالمي الخاص، لأتجول فيه ما بين البطولات والانتصارات بداية من السندباد ورحلاته التي كانت لا تفارقني، والمكتشفين والعلماء، وكانت أحلامي كلها بطولات سواء بطولات عسكرية مثل خالد بن الوليد، والاسكندر الأكبر الذي كتبت فيما بعد مسرحية تحمل اسمه أو بطولات علمية مثل ماركوني وأديسون. [٢٦]والملاحظ أن هذه العزلة كانت عزلة إيجابية وليست عزلة سلبية، وكان خلالها يتردد على الكُتاب وعلى المسجد ويؤدي الصلوات جماعة في مسجد (سيدي عز الرجال) بطنطا، وكان في نفس الوقت يقضي يومياً ما بين ٥–٦ ساعات في مكتبة البلدية بطنطا يقرأ في مختلف المجالات، ويدخل مجادلات ومناقشات تنتهي بالضرب والجري.[٢٧] فلما وصل الى المرحلة الثانوية زادت اهتماماته العلمية، فأنشأ في بدروم منزلهم معملاً خاصاً، وكما يقول أغرق نفسه ليل ونهار في التجارب العلمية

التي كادت تسبب له الموت عدة مرات من خلال الانفجارات والحرائق، وأغرق نفسه بالعلوم التي كان شغوفاً بها مثل الكهرباء وجهاز التقطير والرسم على الورق والقراءة وكتابة الشعر .[٢٨]ثم كانت عزلته عن الأهل والناس في أخريات أيام دراسته للطب حينما استأجر غرفة في بنسيون (فندق صغير)، في مدينة حلوان، اعتزل من خلالها الناس وبدأ يكتب ويراسل الصحف والمجلات الأدبية والسياسية، وكان من نتائج هذه العزلة كتابه (الله والإنسان). ولم تفارقه رغبته في العزلة حتى بعد أن أصبح شخصية عامة مشهورة، وكاتب يقرأ له الملايين من الناس، وتُترجم كتبه إلى عدة لغات أجنبية، فقد هجر الزوجة والعالم من حوله وسكن في شقة بسيطة لا تتناسب مع مكانته المالية أو العلمية أو الاجتماعية، شقة صغيرة لا تتجاوز الثمانين متراً مربعاً، لا يوجد فيها من الأثاث إلا أقل القليل. [٢٩]يقول الدكتور مصطفى محمود: " قررت بعد الفشل (الزواج الثاني) أن أعطي نفسي لرسالتي وهدفي كداعية إسلامي ومؤلف وكاتب وأديب ومفكر، وقد اقتنعت تماماً بأن هذا قدري، ورضيت به، ومنذ هذا الحين وأنا أعيش في جناح صغير بمسجدي بالمركز الإسلامي، أغرق مع وحدتي في العمل وتعودت أن أعطي ظهري لكل حقد أو حسد ولا أضيّع وقتي في الاشتباك مع هذه الأشياء، وأفضل أن أتجنبها، وأتجنب أصحابها حتى لا أبدد طاقتي فيما لا جدوى وراءه، انتصاراتي على نفسي هي أهم انتصارات في حياتي، وكانت دائماً بفضل الله وبالقوة التي أمدني بها بالبصيرة والنور الذي نور به طريقي ".[٣٠]

المطلب الثاني:

ثقافته: من ضمن المكونات الرئيسية لشخصية الإنسان، مجموعة من المكونات على رأسها مكون الثقافة ومكون العقيدة، ومن خلال هذين المكونين تبنى شخصية الإنسان، وتتحدد معالم حياته، ويبرز دوره في المجتمع، فلقد لعبت الثقافة المتعددة الجوانب في صقل عقلية وتفكير أستاذنا، وكذلك لعبت العقيدة الدور الكبير في عطائه وكفاحه ودعوته

أولاً: ثقافة مصطفى محمود:

نشأ مصطفى محمود في بيت لم ير الأبناء والدهم يحمل كيس فاكهة أو ربطة فجل، بل كان دائماً يدخل إلى البيت يحمل بين يديه الكتب والمجلات، بلا شك أن هذا الأمر المعتاد ينعكس على هذا الطفل وإخوانه ؛ فيقبل على هذه المجلات وهذه الكتب يقلب صفحاتها، ويقرأ عناوينها، ويوماً بعد يوم أصبحت القراءة محببة إلى نفسه شغوفاً بها إلى حد كبير، ومن ثم يقبل على قراءة كتب السندباد والرحالة والمكتشفين، وكتب البطولات، [٣١] وكلما كبرت اهتماماته وخصوصاً أنه كان متفوقاً في دراسته، فأقبل على دراسة وقراءة المتنبي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وإبراهيم ناجي، كرموز للشعر العربي القديم والحديث، وقد تعددت مصادر ثقافة مصطفى محمود ما بين قراءات أدبية وفلسفية وفكرية ودينية، وهكذا نجد أثر هذا التنوع واضح في تنوع كتاباته وكثرتها.[٣٢]وكذلك حدثنا الأستاذ محمد رضوان عن مصادر ثقافة مصطفى محمود فيقول: أهم مصادر ثقافته التي شكلت أدبه وفكره هي:

١. الكتب المقدسة: القرآن والتوراة والإنجيل.

٢. كتب التفاسير للقران الكريم لكبار العلماء القدمى والمحدثين.

٣. مؤلفات كبار المفكرين والأدباء مثل عباس محمود العقاد، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل.

٤. مؤلفات كبار الفلاسفة العرب وأعلام الفكر العربي والإسلامي مثل: أبي حامد الغزالي، وابن رشد، وابن تيمية وغيرهم.

٥. مؤلفات أعلام الصوفية مثل: النفري

٦. ومحيي الدين بن عربي، والحلاج

٧. مؤلفات أعلام الفكر الفلسفي الغربي مثل: نيتشه وهيدجر، وسارتر، وديكارت، فضلاً عن فلسفة أرسطو، وأفلاطون.

٨. روائع الأدب الغربي من مسرحيات وروايات مثل: روائع شكسبير

–وفيكتور هيجو، واميل زولا.

٩– دواوين الشعر العربي للمتنبي والمعري، والحسن بن هاني (أبو نواس)، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم.

١٠ – أعمال الأدب العربي مثل: توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، والمازني، وجبران.[٣٣]

خلاصة الفكر الغربي في المجالات الفلسفية والعلمية، خاصة ما يتصل بالفلك وعالم الحيوانات والحشرات وغرائب البحار وأحدث مكتشفات الطب بهذا " استطاع مصطفى محمود أن يهضم كل هذه القراءات على اختلاف ألوانها وتباين موضوعاتها، وأن يبتكر أسلوباً جديداً جمع

بين البلاغة العربية والبساطة العصرية، فاستطاع أن يعبر عن عصره وزمانه واستطاع أيضاً أن يكون قريباً من قلوب الشباب وعقولهم، فتمكن من أن يكون كاتب الشيوخ والشباب والمثقفين والبسطاء، لأنه طوع فكره وأسلوبه ليساير عصره وزمانه ".[٣٤]

ثانياً: عقيدة مصطفى محمود وسلوكه:

كان للأب أكبر الأثر في تكوين عقيدة أستاذنا، فهو يذكر أن أباه كان رجلاً بسيطاً قلبه عامر بالإيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، ونشأ أستاذنا في كنف هذا الوالد الذي كان يتخلق بأخلاق الأولياء، معتمداً على الله، آخذاً بالأسباب، لم يسلك والده طريقة صوفية على يد شيخ ؛ لكنه كان رمزاً وصورة حية للولاية الكاملة، لقد سرت الأنفاس المباركة لهذا الرجل الصالح في ولده وانطوت في باطنه حتى أذن الله لها بالظهور.[٣٥]وكون مصطفى محمود شريفاً ينتسب إلى أهل البيت جعله أقرب للتصوف من غيره من الاتجاهات، فهو ينتسب إلى الطريقة النقشبندية والتزم بالذكر القلبي حتى آخر أيامه، وهو يقول عن نفسه " أنا لست من السالكين، فسلوكي قليل، وأكثر معارفي مصدرها القراءة في التصوف "، [٣٦] وكان انتساب مصطفى محمود للطريقة النقشبندية حينما كان في رحلة للحج عام ١٩٦٦م، وفي مكة المكرمة التقى بالشيخ محمد متولي الشعراوي وقد وقد التقيا بالشيخ النقشبدني وأخذا منه العهد. وهو يقول: " إنها تناسبني لأن مدارها على الذكر القلبي وأورادها وأحزابها قليلة تتناسب مع مشاغله الكثيرة، وقد استمرت علاقته بالشيخ النقشبندي ست سنين ".[٣٧]وقد تأثر أستاذنا كثيراً بالشيخ النفري، وابن عربي، وابن عطاء الله السكندري، والإمام الغزالي.والتصوف بالنسبة لمصطفى محمود كما يقول " هو مشربي، إلا أنه لا يضع نفسه في عداد الصوفية وليس من رجال التصوف، لأنه لم يصل إلى الكمال النفسي الذي يصل إليه السالك، ولا يمتلك الكمالات القلبية والروحية التي يصل إليها العارفون بالله. إنه مجرد محب للتصوف والصوفية وقارئ لمؤلفات العارفين بالله " أنا عاشق للتصوف وليس أكثر من ذلك ". ومصطفى محمود كالشيخ الشعراوي ينهج منهجاً يميل إلى الاعتماد على الأدلة الشرعية التي تعتمد على العقل في الإقناع، وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا عقائدية كالإيمان بوجود الله تعالى والبرهنة على وحدانيته عز وجل.وهو في أساس عقيدته سني أشعري كالكثير من أهل مصر، ولم نلحظ على كتاباته النزعة الضيقة للخلافات بين الفرق الإسلامية، وصوفيته تميل إلى العمل والزهد والخوف من الله وتقديم العون والخير للناس، ومشروعاته الخيرية أكبر شاهد على ذلك، فهو لا يميل إلى الصراعات الفكرية والعقائدية.[٣٨]

المبحث الثالث

المطلب الأول: منهجه في الكتابة والتأليف، واهم مؤلفاته:

اولا: منهجه في الكتابة والتأليف:

يُعتبر مصطفى محمود من أكثر الكتاب والمؤلفين إنتاجاً وإبداعاً، من ناحية التنوع في الموضوعات المطروحة، ومن ناحية الكم الكبير الذي كتبه من الكتب والمؤلفات، فقد كتب في العديد من العلوم والموضوعات، وقد بلغت كتبه ال(٩٨) كتاباً، ومقالاته بلغت المئات وقد تميزت كتابته بمميزات خاصة به ميّزته عن غيره من الكتاب المعاصرين له، ومن خلال دراستي لتراث الرجل توصلت لجملة من الأمور منها:

١. سهولة أسلوبه وقدرته على تطويع الكلمات مما جعل كتاباته تلقى رواجاً على جميع المستويات العمرية والمثقفين وغيرهم، ومثل هذه النوعية من الكتابة يكون تأثيرها واضحاً ومجدياً. [٣٩]

٢. بُعده وتجنبه لإثارة نقاط الخلاف خلال طرحه لأي قضية دينية أو فكرية، ومحاولته توصيل المعلومة للقارئ دون إرهاق ومتاهات الخلاف.

٣. تناوله للقضايا الملحة في حياة القارئ، بعيداً عن عالم الخيال والوهم الخادع، فهو يحرص على ما ينفع وهذا يتوافق مع توجيهات النبي عليه السلام.

٤. اعلاء قيمة العقل ومحاولة إقحامه في كل الأمور، وعدم التفريق فيما للعقل له علاقة وما لا علاقة للعقل فيه.

٥. أحياناً كثيرة يعيد تكرار الموضوع نفسه في أكثر من كتاب دون زيادة أو تغيير.

٦. طباعة كتبه طبعات عده دون إضافة أو إعادة نظر أو تصحيح لما يلزم تصحيحه.

٧. يعاب عليه عدم توثيقه للمعلومة المنقولة من غيره، وبالتالي الصعوبة في الرجوع إلى مصادره الناقل عنها، بالإضافة إلى عدم إحالة الأقوال لأصحابها.

٨. عدم وجود ثبت بالمراجع التي استعان بها أثناء كتابته لموضوعاته.[٤٠]

ثانيا: اهم مؤلفاته الفكرية:

غز الموت كتاب لمصطفى محمود يناقش فيه الموت من خلال رؤية علمية وفلسفية، ويرى أن الموت والحياة وجهان لعملة واحدة، فنحن نموت كل يوم؛ حيث تموت ملايين الخلايا داخل أجسامنا دون أن نشعر بها ويسمى ذلك بالموت الأصغر .[٤١]مؤلفات وكتب الاستاذ مصطفى محمود(٢٧ ديسمبر ١٩٢١ – ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩) التي بلغت أكثر من ٨٠ كتابًا، تباينت في مواضيعها ما بين الكتب العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى القصص القصيرةوالروايات والمسرحيات والتأليف في أدب الرحلات. [٤٢]مرت كتابات الاستاذ مصطفى محمود بمرحلتين، الفترة الأولى بين ١٩٥٠و ١٩٧٠، ويغلب عليها الطابع الأدبي والفلسفي، ثم المرحلة الثانية بعد سنة ١٩٧٠ حيث اتجه إلى الكتابة في الفكر الإسلامي، ومواضيع الإسلام السياسي وانتقاد الماركسية والشيوعية والاشتراكية، وكذلك انتقاد التوراة والبهائية، والكتابة عن رحلته للبحث في الأديان التي صاغها في كتبه: حوار مع صديقي الملحد ورحلتي من الشك إلى الإيمان ولغز الحياة ولغز الموت. [٤٣]القران محاولة لفهم عصري: لغز الحياة: دراسة فلسفية عن الحياة وهدفها ونشأتها ومناقشة وانتقاد بعض النظريات مثل نظرية التطورونظريات فرويدغيرها. [٤٤]رحلتي من الشك الى الايمان : يتحدث في مواضيع كالجنّة والنار والقدر والتسيير والتخيير، انتقدت الكتاب عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ في مقالاتها بجريدة الأهرام. [٤٥]وأصدر محمود محمود كتابًا في العام نفسه عنوانه "القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري" في الرد عليه. [٤٦]كتاب فكري يعرض فيه العديد من المواضيع والتساؤلات الفكرية والمتعلقة بخلق الإنسان، والجسد والعقل. ويتحدث الكتاب بشكل تفصيلي عن رحلته من الشك وصولاً إلى الإيمان. [٤٧]الله: يبدأ الحديث فيه عن الله في الإسلام ثم ينتقل إلى الحديث عن الله في الديانات القديمة، وعند أهل العلم والفكر، وعند الذين أنكروه. [٤٨]التوراة: دراسة نقدية مكتوبة بشكل أدبي، يستعرض فيه بعض الانتقادات والتناقضات للعهد القديم. [٤٩]الماركسية والإسلام: يتحدث فيه عن رؤية للفكرة الماركسية بوجهة نظر إسلامية. من كتبه التي ينتقد فيها الماركيسية واليسار عمومًا. [٥٠]السر الأعظم: يتحدث فيه عن بعض الأفكار الصوفية الفلسفية. [٥١]الوجود والعدم: يتحدث عن قدرة الخالق على كل شيء، وإرجاع كل شيء في الوجود إلى قدرته. [٥٢]لماذا رفضت الماركسية: كتيب لا يتعدى عدد صفحاته الـ ٥٠ صفحة، عبارة عن مناظرة بينه وبين خالد محيي الدين، حيث ينتقد مصطفى محمود الماركسية بينما يدافع عنها محيي الدين. [٥٣] الإسلام ماهو ؟: يتحدث عن علاقة المسلم بالدين، وتعريف الإسلام بتفاصيله ويركز على تأثير الصلاةوقراءة القرآنوالخشوع وما إلى ذلك.[٥٤] الإسلام السياسي والمعركة القادمة: يتحدث فيه عن قوى الإسلام السياسي وكيفية صناعة رأي عام قوي ومؤثر. [٥٥]إسرائيل البداية والنهاية: يتحدث عن إسرائيل ومخططاتها وعلاقتها بالعرب وبأمريكا، وبعض التحذيرات والتحليلات.[٥٦]علم نفس قرآني جديد: يتحدث عن ما يُسميه "علم النفس القرآني" أو علاج القرآن لأمراض القلوب والنفس. [٥٧]ماذا وراء بوابة الموت: يتحدث عن بعض الأسئلة المتعلقة بماذا بعد الموت، وما هو عذاب القبر، وهل الإنسان مخير أم مسير، وما هي حقيقة النفس الإنسانية.

المطلب الثاني: أقوال المعاصرين فيه:

نادراً ما تنال شخصية عامة الاتفاق على الاحترام والتقدير كما نال مصطفى محمود من احترام وتقدير، مع الحق في الاختلاف معه، كان مصطفى محمود عَلماً من أعلام الفكر والأدب والصحافة والدعوة والأعمال الخيرية، التف من حوله كل من قرأوا له كتاباً أو شاهدوا له برنامجاً تليفزيونياً، اعجببوا به وأظهروا له الحب والاحترام أثناء حياته وبعد مماته ورثوه بعد موته بأصدق الكلمات.

ولا ينقص من قدر الرجل بعض الأخطاء الاجتهادية التي وقع فيها، وكانت سبب خلافات كبيرة بينه وبين بعض العلماء في لحظة معينة.

أولاً: أقوال من مدحه:لقد مدحه معاصروه وقالوا فيه مقالة حق، سأتكلم على بعضهم:

١. قال عنه الشبخ نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية:" الدكتور مصطفى محمود رجل علم وفضل ومشهود له بالفصحافه والفهم وسعة الاطلاع، والغيرة على الإسلام فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عم الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين وكم عمل على تنقية الشريعة الإسلامية من الشوائب التي دفاعاً عن الدين ".[٥٨]

٢. قال عنه الشيخ حسن مأمون، شيخ الأزهر الشريف:

" الكاتب عني بتمجيد العقل والعلم والحرية، وإظهار أثرها في تقدم الفرد والأمة، وهذه دعوة لا ننكرها عليه، ولا ينكرها الدين الإسلامي، وهو يدعو إلى تعاون السياسي اليقظ والمفكر الحر ورجل الدين العصري".[٥٩]

٣. قال عنه الكاتب والأديب كمال النجمي' تحدثت إليه كثيراً، وناقشته مراراً، بحثت عن دوافعه وحوافزه إلى الكتابة عن الدين والتصوف لعلي أجد في هذه الدوافع الحرافز خبيئاً، أو أكشف وراءها دليلاً على التصنع والتلاعب بالكلام، ولما فاتني هذا المطلب منه صبرت حتى رأيته

يواجه بزهده وتصوفه موقف اختيار أو موقف اختيار حاسم، فيكشف فيه الزهد والمتصوف، وقد أثبت بالفعل لا بالقول إنه زاهد في كل مظاهر الدنيا التي رأينا بعض المفكرين وحملة الأقلام من أبناء جيلنا يسكرون بها حتى الثمالة ".(٦٠)

٤. ويقول الكاتب المتصوف أحمد كمال الجزار : " مصطفى محمود أحد المبدعين، جهل حقيقته كل من كتبوا عنه، ولم يعرفوا السر الذي يكمن وراء بساطته وعفويته وسهولة فهم عبارته ومضمون أعماله الإبداعية، وحب الناس له، الصغير منهم والكبير، حتى أصبح قدوة لكثير من أولادنا وشبابنا الصادقين، ونجا من الفخ الذي ينصبه الشيطان لكل صاحب موهبة إبداعية ".(٦١)

٥. قال عنه الشيخ الإمام محمد زكي إبراهيم" مصطفى محمود رجل ظلمه الأدباء لدينه، وظلمه العلماء لأدبه، وما يحسبونه عليه من أخطاء هي له وليست عليه ". (٦٢)

٦. قال عنه الكاتب ثروت أباظة:" وجد الدكتور مصطفى محمود نفسه في المنهج الذي انتهجه، ووجد الشباب فيه ضالتهم التي كانوا يتلمسون، فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق، وقد توفرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التي تمكنه من مخاطبة الشباب، فهو طبيب في دراسته، فنان في هوايته، صوفي في عقيدته، وبهذه المقومات جميعاً خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب " (٦٣)

ثانياً: أقوال انتقده:

١. قال عنه الدكتور عبد المهدي عبد الهادي – من علماء الأزهر: إن مشكلة الدكتور مصطفى محمود وغيره من منكري الشفاعة والسنة أنهم يكتبون في غير تخصصهم، لهذا ليس عنده تصور لما يكتب فيه.(٦٤)

٢. قال عنه الشيخ مصطفى الحديدي الطير: أخرج الدكتور مصطفى محمود القرآن عن ظاهره في أمور خطيرة، وأن المخالفات التي جاءت في كتابة كانت ناشئة عن أن ما عالجه لم يكن واضح الصورة لديه " (٦٥)

٣. قال عنه الدكتور حسن الحويني – من علماء الأزهر العجيب أنه نصب نفسه عالماً من علماء الدين وهو بعيد عن ذلك غاية البعد، يتشدق في جرأة يحسها المرء، ويلمسها في لهجته ووقع عبارته، فهو يلفق الأحاديث المختلفة في نص واحد، يستخف فيه بعقول العامة.(٦٦)

٤. قال عنه عبد المتعال الجبري:" سر الخطأ عدم ارتباطه بقواعد اللغة العربية في فهم القرآن، وعدم تعرف وجوه القراءات "(٦٧)

النتيجة

من خلال بحثي المتقدم توصلت الى اهم النتائج اذكرها في مايلي:

١. بان الدكتور مصطفى محمود كان منحدرا من عائلة تنتسب الى بيت النبوة، واهل تقى وورع وعلم هذا ما دفعه لترك الطب والعمل في مجال العلوم الدينية.

٢. من خلال دراسته العلمية وطبيعة عمله الطبي جعل منه انسان مفكرا مما جعلته يبحث عن حقائق الأشياء للوصول الى اليقين المطلق الذي يقوده الى الايمان بالله الحقيقي وليس التقليدي الموروث من اهله كما سماه

٣. الدكتور مصطفى محمد لم يكن ملحدا كما زعم البعض، ولكن شك في بداية حياته وفي ايام تدينه ولكنه لما اعتزل الحياة وغاص في البحث عن الحقائق توصل الى الايمان العميق، كما ذكر في برنامجه رحلتي من الشك الى الايمان.

٤. كان مصطفى محمود مسلكه صوفيا بسبب تاثره بوالده الذي رباه من طفولته بين اروقة المسجد.

٥. كان تاليفه شاملا لمعظم العلوم بدأ بالمقالات الادبية، ومن ثم كتب في الفلسفة والاجتماع والاعلام والسياسة والفكر الاسلامي.

٦. لم يكن مداهنا في بيان وجه الحق وكان كثيرا ما ينتقد السلطات الحاكمة انذاك فلذك لم يحضى بحفاوة منهم وهو غير طالبا لها كان همه قول الحق وان يلقى ربه وهو عنه راضي.

٧. كان الدكتور مصطفى محمود من العلماء الأفذاذ قل نضيره في عصره فقد اعطاه الله مالم يعطي احدا غيره من العلم والمال، فهو كان ثاني شخصية علمية ياتي من بعد الامام الشعراوي.

٨. لقد لقي مفكرنا مالقي غيره من العلماء والمفكرين، من النقد والمعارضة والتاييد وهذامر طبيعي بسبب تفاوت عقليات البشر.

هوامش البحث

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٥، ص ١٥٦.

(٢) ينظر: مصطفى محمود والتصوف، لأحمد الجزار، ص٦٨

[٣] الموسوعة العربية: ج٢ص١٠٧٤.

[٥] الموسوعة العربية: ج٢ص١٧٦٣.

[٦] الموسوعة العربية الميسرة: ج٢ص١١٦٤.

[٧] الفارس المتمرد، لسيد الحراني: الحلقة الولى.

[٨] الموسوعة العربية الميسرة: ج٢ص١٣٦٦.

[٩] الفارس المتمرد، للسيد الحراني: حلقة ٢٤.

[١٠] جريدة مصر اليوم، عدد الثلاثاء: ٢٤/مايو /٢٠١١.

[١١] الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة الثانية

[١٢] مصطفى محمود، مشوار العمر، لمحمد رضوان، دار المعارف، القاهرة، الاولى ٢٠١٠، ص٧.

[١٣] مذكرات مصطفى محمود، لسيد الحراني، الحلقة الثانية، الهروب من الطفولة.

[١٤] مصطفى محمود، مشوار العمر: لمحمد رضوان، ص٨

[١٥] الفارس المتمرد لسيد الحراني، الحلقة الثانية.

[١٦] دكتور مصطفى محمود والتصوف، لاحمد كمال الجزار، اخبار اليوم، ١٩٩٧، الاولى، ص٦٣.

[١٧] دكتور مصطفى محمود والتصوف، لاحمد كمال الجزار، اخبار اليوم، ١٩٩٧، الاولى، ص٦٣.

[١٨] الفارس المتمرد، لسيد الحراني. الحلقة الثالثة.

[١٩] الموسوعة السياسية: لعبد الوهاب الكيالي: المؤسسة العربية للنشر بيروت، ١٩٩١، ج٩ص٧٣.

[٢٠] نشرة توثيقية بجمعية مسجد محمود، المراكز الطبية التابعة للجميع.

[٢١] شاهد على العصر، لعمر بطيش، اخبار اليوم، ١٩٨٤، الطبعة الاولى، ص٧٠

[٢٢] مصطفى محمود ودوره في خدمة قضية كوسوفا، لبكر اسماعيل، مكتبة البابرس، القاهرة، ٢٠٠٠، الطبعة الاولى، ص١٧

[٢٣] الدكتور مصطفى محمود والتصوف، لاحمد الجزار: ص٧٠

[٢٤] ينظر الفارس المتمرد، لسيد الحراني، الحلقة الاولى.

[٢٥] مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ص ٨٢

[٢٦] الفارس المتمرد: سيد الحمراني، الحلقة الأولى

[٢٧] الفارس المتمرد: سيد الحمراني، الحلقة الأولى

[٢٨] المصدر السابق: الحلقة الثانية

[٢٩] مصطفى محمود سؤال الوجود: لوتس عبد الكريم، مؤسسة أخبار اليوم ٢٠٠٨ م، الأولى، القاهرة، ص ٤٦

[٣٠] المصدر السابق: ص ١٣٠

[٣١] ينظر: الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة الأولى

[٣٢] مصطفى محمود مشوار العمر، لمحمد رضوان، ص١٥.

[٣٣] ينظر رسالة ماجستير: مصطفى محمود، وموقفه من المذاهب المعاصرة، ، ١٤٤٢هـ، مكتبة الفكر والثقافة، ص٤٧-٥٣.

[٣٤] مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ص ١٧.

[٣٥] ينظر: مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ٧٠ – ٧٣.

[٣٦] المصدر السابق: ص ٧٤

[٣٧] مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار ص ١٩

[٣٨] موسوعة الأعلام الفكرالاسلامي، ص٧٢٠.

[٣٩] مصطفى محمود وموقفه من المذاهب المعاصرة، لحسني محمد العطار، ص١٢٩.

[٤٠] المصدر نفسه، ص١٣٠.

[٤١] افضل ١٠ مؤلفات للمفكر والطبيب مصطفى محمود، موقع مصراوي، نُشر في ٢١ أغسطس ٢٠١٥ نسخة محفوظة ١٧ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشينwww.wikipedia.org/wiki .

[٤٢] السيرة الذاتية للكتور مصطفى محمود، مكتبة الأسكندرية.

[٤٣] مصطفى محمود: ارائه العقائدية، وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة، لحسني محمد العطار، ص٦٧ـ٧٠

[٤٤] نبذة عن كتاب لغز الحياة، لمصطفى محمود: موقع ابجد: www.abjjad.com

[٤٥] "مصطفى محمود ومحنة البحث عن اليقين"، مجلة العربي.

[٤٦] الاخوان والصحوة روجا لشعوبية، مصطفى محمود

[٤٧] اليسار الاسلامي

[٤٨] مصطفى محمود، الله، ص٩٥

[٤٩] التوراة لمصطفى محمود، موقع كتاب

[٥٠] اليسار الاسلامي

[٥١] نبذة عن كتاب السر الاعظم، لمصطفى محمود، موقع عميد الكتب.

[٥٢] افضل كتب الدكتور مصطفى محمود، موقع المرسال.

[٥٣] قصة معركة محيي الدين ضد مصطفى محمود، الماركسية لا تعادي الاسلام، بوابة فيتو

[٥٤] افضل عشر مولفات للدكتور مصطفى محمود، موقع مصر واي.

[٥٥] وكالة الحدث الاخبارية ولاسلام السياسي والمعركة القادمة، موسوعة اخبار العراق.

[٥٦] نبذة عن كتاب اسرائيل البداية والنهاية، موقع ابجد.

[٥٧] علم نفس قراني جديد، لمصطفى محمود، ص١٥.

[٥٨] دارالأفتاء المصرية: ١٥/٥/١٩٩٩م.

[٥٩] دار الافتاء المصرية، فتوى رقم (١١١٦)، بتاريخ: ١٩٥٧م.

[٦٠] مصطفى محمود مشوار العمر: لمحمد رضوان، ص١٠١.

[٦١] مصطفى محمود والتصوف: لأحمد الجزار، ص ٤١.

[٦٢] مصطفى محمود: لمحمد رضوان، ٦.

[٦٣] المصدر نفسه.

[٦٤] ينظر الرد على مصطفى محمود: لعبد المهدي عبد الهادي، ص٢٤.

[٦٥] ينظر اتجاه التفسير في العصر الحديث: مصطفى الحد يدي الطير، مجمع البحوث السلامية، القاهرة ١٩٧٤م، ص١٧١.

[٦٦] الرد على مصطفى محمود، لحسن الحويني، ص٩ـ١١.

[٦٧] شطحات مصطفى محمود، لعبد المتعال الجبري، ص٤٧